Al-imad Journal of Humanities and Applied Sciences (AJHAS)
مجلة العماد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
ISSN: 3106-0323
Volume 2 – Issue 2 – 2026
Pages 402-409

The Role of the Political and Diplomatic Alliances of the Mamluk Qalawun Dynasty in Ending the Crusader Presence in the Levant (678–784 AH / 1279–1382 CE)

Hussein Saad Abdel Qader Al-Mabrouk *
Department of History, University of Benghazi, Benghazi, Libya
*Corresponding: 1964azazazaz@gmail.com

دور التحالفات السياسية والدبلوماسية لأسرة قلاوون المملوكية في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام (678هـ - 784هـ / 1279م - 1382م)

حسين سعد عبد القادر *
قسم التاريخ، جامعة بنغازي، بنغازي، ليبيا

Received: 11-06-2026; Accepted: 12-07-2026; Published: 02-08-2026

Abstract:
This research comprehensively examines the crucial historical role played by the political alliances, diplomatic maneuvers, truces, and formal agreements forged during the Qalawun dynasty era in the Levant. It provides an in-depth analysis of how these sophisticated diplomatic frameworks successfully contributed to undermining and systematically weakening the military capabilities and structural defenses of the Crusader states along the Levantine coast. Furthermore, the study explores how the Qalawun administration adeptly isolated these Crusader principalities by severing the vital lines of external aid, military reinforcements, and strategic support they previously received from hostile regional and European powers, thereby leaving them isolated and vulnerable. The research further investigates the extent to which the political and diplomatic strategies of the Qalawun rulers capitalized on the deep-seated internal conflicts, succession disputes, and political fragmentation plaguing the ruling Crusader families and principalities. It carefully evaluates how the integration of military campaigns with tactical truces allowed the Mamluk state to neutralize the persistent Crusader threat on one front, effectively freeing up critical financial and military resources to confront and repel the formidable Mongol threat advancing from the East. Ultimately, this study sheds light on how the synergy between robust military execution and shrewd statecraft culminated in the historic eradication of the remaining Crusader presence in the region.

Keywords: Mamluks, Qalawun, Crusaders, Levantine Coast, Agreements.

الملخص
يتناول هذا البحث بشكل تحليلي وعميق الدور التاريخي والمحوري الذي اضطلعت به التحالفات السياسية، والمناورات الدبلوماسية، والهدن، والاتفاقيات الرسمية التي أبرمت خلال عصر أسرة قلاوون المملوكية في بلاد الشام. ويستعرض البحث بأسلوب علمي دقيق كيف ساهمت هذه الأطر السياسية والدبلوماسية المحكمة في تقويض وإضعاف القدرات العسكرية والدفاعية للكيانات الصليبية الممتدة على طول ساحل بلاد الشام، فضلاً عن حرمانها من شبكات الإمداد والنجدات الخارجية والدعم اللوجستي والعسكري الذي طالما تلقتها من القوى الأوروبية والإقليمية المعادية لدولة المماليك. كما يسلط البحث الضوء على مدى نجاح السياسة القلاوونية في استثمار التناقضات والنزاعات الداخلية العميقة، وصراعات البيت الواحد، والخلافات السياسية المستحكمة بين الأسر الصليبية الحاكمة في الإمارات والإقامات الصليبية المختلفة.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ويناقش الدراسة كيف أتاحت هذه الدبلوماسية المرنة والممزوجة بالقوة العسكرية تحييد الخطر الصليبي نسبياً في أوقات حرجة، مما مكّن الدولة المملوكية من إعادة توجيه مواردها العسكرية والاقتصادية الشحيحة والتفرغ التام لمواجهة وصد الخطر المغولي الداهم على الجبهة الشرقية. ويخلص البحث إلى بيان كيف تضافرت الجهود العسكرية الحازمة مع الدهاء السياسي والدبلوماسي لتمهيد الطريق نحو التصفية النهائية والناجزة للوجود الصليبي في المشرق الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: المماليك، قلاوون، الصليبيون، ساحل الشام، الاتفاقيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

انتهى عصر الدولة الأيوبية سنة 648هـ / 1250م بمقتل تورانشاه، ليبدأ عصر دولة المماليك البحرية التي حملت لواء مقاومة أعداء العالم الإسلامي من صليبيين ومغول .وكانت أسرة قلاوون من أسر المماليك التي ظهر فيها سلاطين بارزون مثل المنصور قلاوون مؤسس الأسرة، والأشرف خليل، ومحمد الناصر قلاوون .وقد استطاعت هذه الأسرة إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام والوقوف بالمرصاد للخطر المغولي، لتكمل بذلك مسيرة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس وغيرهما من قادة المماليك .

وقد اتسم الصراع بين المماليك والصليبيين في مراحل منه باتباع سياسة الدبلوماسية والمهادنة وعقد المعاهدات بين الطرفين، وكان هذا الأمر جلياً منذ عهد الظاهر بيبرس، ثم نهجت أسرة قلاوون هذا النهج في صراعها مع الصليبيين بالإضافة إلى نهج الجهاد العسكري .وقد استفادت أسرة قلاوون من نهج الدبلوماسية والاتفاقيات في أنها استطاعت تحييد القوى الفاعلة في المنطقة وأوروبا عن الصراع بينها وبين الصليبيين إلى أن قضت على الوجود الصليبي بتحرير مدينة عكا سنة 690هـ / 1291م على يد الأشرف خليل بن قلاوون .

إشكالية الموضوع:

تدور إشكالية الموضوع حول مدى مساهمة التحالفات السياسية والجهود الدبلوماسية التي اتبعتها أسرة قلاوون في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام، وما طبيعة العلاقة بين النهج السياسي والدبلوماسي لأسرة قلاوون وإنجازات الأسرة العسكرية .

المنهج المتبع في البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال المعلومات الواردة في المصادر والمراجع .

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في تناوله جانب التحالفات السياسية والعلاقات الدبلوماسية وما ترتب عليها من نتائج أدت لتحقيق الانتصارات العسكرية والتحرير، وكيف استفادت أسرة قلاوون من التناقضات بين الأطراف الصليبية وحلفائهم من أجل النصر على الأعداء الصليبيين .

خطة البحث

- **المقدمة**
- **مبحث تمهيدي:** سياسة المماليك ودبلوماسيتهم تجاه الصليبيين قبيل عهد أسرة قلاوون.
- **المبحث الأول:** جهود المنصور قلاوون الدبلوماسية وتحالفاته السياسية.
- **المبحث الثاني:** العلاقات المملوكية الصليبية بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون.
- **المبحث الثالث:** نتائج إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام.
- **الخاتمة.**
- **التوصيات.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مبحث تمهيدي:

سياسة المماليك ودبلوماسيتهم تجاه الصليبيين قبل عهد أسرة قلاوون

تولى حكم دولة المماليك قبيل عهد أسرة قلاوون السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (ت 676هـ / 1277م)، وكان من أعظم سلاطين المماليك، وكان الخطر الصليبي وخطر المغول يهددان بلاد المسلمين في الشرق، وقد أبدى بيبرس ومن خلفه المماليك اقتداراً وشجاعة في التصدي لهذين الخطرين (عاشور، 1996م، ص 210) .

كانت الكيانات الصليبية عند قيام الدولة المملوكية سنة 648هـ / 1250م تمتد على طول الساحل الشرقي من قاقون شمالاً حتى يافا جنوباً، وتشكلت من وحدتين رئيسيتين هما مملكة بيت المقدس في عكا، إلى جانب عدة إمارات إقطاعية مثل يافا، إنطاكية، وطرابلس، وكانت كل منها إمارة مستقلة (أبو عحيان، 1995م، ص 23-25) .

ولما ظهر خطر مغول فارس (الإلخانيين)، كان حليفهم هذه الكيانات الصليبية ومملكة أرمينيا والكرج النصارى، التي تحالفت مع هولاكو (ت 663هـ / 1265م) الذي خرب بغداد سنة 656هـ / 1258م، واستمر ابنه أباقا (ت 680هـ / 1282م) في مواجهة المماليك وكل المسلمين (مصطفى، 1996م، ص 24) .

اتبع المماليك في أوائل عهدهم سياسة المهادنة مع الصليبيين في الشام، وذلك بسبب عدم استقرار أوضاعهم الداخلية، وعداء الأيوبيين، والهجوم المغولي، غير أن الأمور تغيرت في عهد الظاهر بيبرس حيث استقرت الدولة وتم إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، ثم بدأ بيبرس بإبرام اتفاقيات مع أعداء الصليبيين فسعى للتقارب مع بيزنطة، وصقلية، وزعيم مغول القفجاق، وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى (عاشور، 1959م، ص 60-61) .

ومنذ أوائل عام 663هـ / 1265م، بدأ بيبرس في مهاجمة الصليبيين بعد أن حيد القوى الأخرى بواسطة الاتفاقيات، غير أن مهاجمة الصليبيين لم يمنع اتفاقيات الصلح بين المماليك والصليبيين، إذ كان بيبرس يعاود الهجوم عندما ينقض الصليبيون العهود (مصطفى، 1996م، ص 30) .فنجد بيبرس يعقد صلحاً عام 663هـ / 1267م مع فرسان الإسبتارية على حصن الأكراد والمرقب، وفي سنة 667هـ / 1267م عقد معاهدة مع زابين ملكة بيروت، وفي سنة 669هـ / 1270م عقد صلحاً مع صاحب طرابلس (ابن عبد الظاهر، 1976م، ص 283، 358، 383) .

ويمكن القول إن سياسة بيبرس بشكل عام تجاه الصليبيين اتسمت بالشدة باعتبارهم العدو الأشد خطراً على المسلمين، وقد توجت عمليات بيبرس العسكرية ضد الصليبيين بتحرير إنطاكية سنة 666هـ / 1268م، وكثيراً ما عمل بيبرس على الاستفادة من المنازعات بين الصليبيين وكان يهادن بعض أمرائهم حتى تتوافر له حرية الحركة ضدهم جميعاً (قاسم، 1998م، ص 101-104) .

حرص بيبرس على توريث الحكم لابنه بركة خان وجعل الأمراء يقسمون له يمين الطاعة سنة 660هـ / 1262م، وبرز سيف الدين قلاوون (ت 688هـ / 1289م) عضداً لابنه بركة خان، ولكن الأمور بعد ذلك تطورت وأدت إلى عزل الملك السعيد بركة خان وتولي سلامش الصغير سلطنة المماليك سنة 678هـ / 1279م (حسين، 1998م، ص 183-185) .

المبحث الأول:

جهود المنصور قلاوون الدبلوماسية وتحالفاته السياسية

أ- العلاقات مع القوى الإقليمية:

بعد أن تولى سيف الدين سلطنة المماليك تلقب بلقب المنصور، وتعرض أوائل حكمه لثورات بعض الأمراء مثل الأمير شمس الدين سنقر نائب الشام الذي اتصل بالمغول وأغراهم على غزو الشام، إلا أنه في نهاية الأمر خضع لقلاوون (عاشور، 1976م، ص 69) .

شهدت علاقات المنصور مع القوى الإقليمية تطورات عديدة، منها العلاقة مع مغول فارس والتي شهدت تقارباً بين الطرفين منذ عام 681هـ / 1283م أي بعد وفاة هولاكو، وساهم دخول مغول فارس في الدين الإسلامي في تقوية العلاقات بين الطرفين وصار بالإمكان التصالح بين قلاوون والإلخانيين (ابن الفداء، 1997م، ج 2، ص 349) .وسعى السلطان المنصور قلاوون إلى عقد معاهدات مع الغرب الأوروبي ليحرم

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الصليبيين من الاستعانة بهم، فجدد معاهدات مع صقلية وجنوى، وعقد معاهدة مع الإمبراطور رودولف هابسبورغ (عاشور، 1959م، ص 66) .
وفي إسبانيا، عقد معاهدة سنة 679هـ / 1281م مع ألفونسو صاحب قشتالة وكانت معاهدة دفاعية (سرور، د.ت، ص 262) .وعقد معاهدة عام 689هـ / 1290م مع مملكة أراغون الإسبانية نصت على حماية التجار وتصدير المعادن والأخشاب إلى الموانئ الإسلامية، وأن يلتزم الملك الإسباني وأولاده بمَساندة قلاوون في البحر والبر ضد أي هجوم من إمارة صقلية أو جنوى أو البندقية أو البيزنطيين، وأن يلتزم الإسبان بالامتناع عن تقديم المساعدة لأي من إمارات الشام الصليبية وأن يبلغوا قلاوون عن أي هجوم ضده (مصطفى، 1996م، ص 31) .وأقام السلطان المنصور علاقات ودية مع مغول القفجاق؛ إذ كان هذا الفرع من المغول قد أسلم منذ عهد بركة خان، وكانت هناك جهود بذلها السلطان المنصور من أجل نشر الإسلام وإقامة دعائمه في تلك البلاد (الحداد، 1998م، ص 91-92) .وراسل السلطان الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن من أجل الصداقة والحلف، ورد الإمبراطور بطلب المودة وعرض تسهيل سبل السفر على رسل السلطان التي تمر ببيزنطة، واستمرت العلاقة الودية بين السلطان وبيزنطة في عهد أندرونيكوس ابن ميخائيل الثامن (سرور، د.ت، ص 259) .

ب- معاهدات السلطان قلاوون مع الصليبيين واستثماره الخلافات بين القوى الصليبية:

كان السلطان يخشى التقارب الصليبي مع مغول فارس، فعمل من أجل تجديد الهدنة العامة التي عقدها بيبرس مع الصليبيين في أواخر عهده، وبذلك تفرغ لقتال المغول وأنزل بهم هزيمة في معركة حمص سنة 680هـ / 1281م وأجبرهم على الانسحاب من بلاد الشام (عاشور، 1959م، ص 66) .
فجدد السلطان المنصور الهدنة التي عقدها السلطان بيبرس مع فرسان الإسبتارية بحصن المرقب، كما عقد معاهدة مع الإسبتارية في عكا، وعقد الهدنة مع ملك طرابلس بوهيمند السابع وكان ذلك عام 680هـ / 1281م (المقريزي، 1997م، ج 2، ص 139) .
لقد سعى الصليبيون لطلب ود السلطان قلاوون وليس فقط لمهادنته، حتى إنهم أخبروه عن مؤامرة لاغتياله أعد لها سيف الدين كوندك الظاهر أحد أمراء السلطان، والذي اتصل بالصليبيين في عكا وطلب منهم أن يمتنعوا عن مصالحة قلاوون وطلب منهم معونته للقضاء على السلطان، ولكن السلطان قضى على هذه المؤامرة (المقريزي، 1997م، ج 2، ص 140) .
اتهم السلطان الإسبتارية في حصن المرقب سنة 684هـ / 1285م بنقض الهدنة، فهاجمهم واستولى على الحصن، وكان الصليبيون في الشام يمرون بمرحلة ضعف بسبب قلة معونات الغرب الأوروبي من جهة، واستفحال الصراعات الداخلية بين الصليبيين من جهة أخرى (الحداد، 1998م، ص 93) .وتيقن السلطان من صعوبة المحافظة على حصن المرقب فأرسل إلى حاكم طرابلس طالباً منه هدم الحصن وهدده باجتياح إمارته، فأذعن أمير طرابلس لطلب السلطان، وقد روع ذلك جموع الصليبيين في الشام، فتقدمت الأميرة إيشينيا أميرة بيروت بطلب عقد هدنة مع السلطان ودفعت له مبالغ طائلة، وفي السنة التالية تقدمت أميرة صور مارغريت بطلب عقد هدنة فوافقها السلطان مقابل تنازلها عن نصف دخل إمارتها السنوي وعدم تجديد تحصيناتها (أبو عحيان، 1994م، ص 75) .وأخضع السلطان بعض الأمراء المناوئين له، وأرسل حملتين عام 685هـ / 1286م وعام 1289م إلى مملكة النوبة النصرانية، ثم هاجم الصليبيين مستغلاً الخلاف الذي حدث في إمارة طرابلس بعد وفاة أميرها بوهيمند السابع دون وريث سنة 688هـ / 1289م، ثم استولى على قلعة البطرون جنوب طرابلس (عاشور، 1959م، ص 67-68) .وبالاستيلاء على طرابلس لم يعد للصليبيين على سواحل الشام سوى مدينة عكا وما حولها (المطوي، 1982م، ص 132) .
توفي شارل أنجو حاكم عكا سنة 684هـ / 1285م، وأرسل إسبتارية المدينة إلى هنري الثاني ملك قبرص ليسترد عرش أبيه في مملكة بيت المقدس (عكا)، وأرسل هنري مبعوثاً إلى عكا لإجراء مفاوضات، غير أن أودو بوالشين رفض التخلي عن نيابته عن ملك قبرص، ولكنه أذعن أخيراً ووصل هنري الثاني إلى عكا تعيين نائباً له وهو خاله بلدوين إبلين (رنسيمان، 1994م، ج 3، ص 458-459) .
وفي تلك الفترة حدث صراع بين بيزا وجنوة وامتد إلى سواحل الشام؛ ففي عام 686هـ / 1287م هاجم أسطول جنوة بيزا ومستعمراتها، وتوجه وفد من بيزا لزيارة الإسكندرية للحصول على تأييد السلطان الذي انتهز الفرصة لانشغال الصليبيين ومن يدعمهم بالنزاعات الداخلية، فأرسل قواته إلى اللاذقية وهي آخر ما

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

تبقى من إمارة إنطاكية، فانسحب الصليبيون من اللاذقية إلى حصن قريب وسيطر قلاوون عليها (طقوش، 1997م، ص 184).

المبحث الثاني:
العلاقة بين المماليك والصليبيين بعد وفاة المنصور قلاوون
أ- الأشرف خليل بن قلاوون وتوليه أمور الدولة:
توفى السلطان المنصور قلاوون سنة 689هـ / 1290م، وتولى أمور الدولة من بعده ولده الأشرف صلاح الدين خليل (ت 693هـ / 1293م) (أبو الفداء، 1995م، ص 85) .
لم يكن السلطان قلاوون يثق في ابنه خليل بسبب سلوكه، وظن أنه غير أهل لتولي عرش السلطنة، لذلك لم يوقع له التقليد بولاية العهد وتوفي على رفضه؛ غير أن الموقف السياسي تطلب اختيار سلطان جديد، ولهذا أقسم الأمراء للسلطان يمين الطاعة، وبذلك أصبح الأشرف خليل سلطاناً .وقيل إنه اتصف بقصر النظر السياسي في علاقته مع الأمراء؛ فقام بإبعاد الذين كانوا من أتباع أبيه عن مناصب الدولة، ونصب مكانهم من أعوانه (طقوش، 1997م، ص 201-202).
سعى الأشرف خليل لتثبيت سلطانه، في حين بدأت الدسائس من بعض الأمراء الذين حرضوا نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرنطاي للتآمر على الأشرف خليل، ولكن جرى القبض على طرنطاي وقتله، ومنح إقطاعه إلى الأمير بدر الدين بيدرا وتم تعيينه نائبًا للسلطنة (أبو الفداء، 1997م، ج 2، ص 359).
وفي حقيقة الأمر، عُرف عن الأشرف خليل شجاعته وشدة بأسه وحرصه على استتباب الأمن في البلاد، ولكنه كانت لديه نزعة تعسفية، وأثبتت الأيام واقعية نظرة السلطان المنصور ومخاوفه تجاه ولده خليل في هذا الجانب .والتي تشهد له مواقفه أيضاً في محاربته الصليبيين والتتار وكل الأعداء الآخرين، وكان للخليل شرف إنهاء الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي بإسقاط آخر معاقلهم في الشام وهو مدينة عكا (عاشور، 1976م، ص 105).
ب- سقوط عكا آخر الكيانات الصليبية في بلاد الشام:
لما كان السلطان المنصور يحرر طرابلس سنة 688هـ / 1289م، أقدم الصليبيون في عكا على نقض معاهداتهم التي أبرموها مع السلطان المنصور بقتلهم تجاراً مسلمين كانوا في المدينة، وعاثوا فساداً حول عكا وقطعوا الطرق؛ ولهذا قرر السلطان المنصور دخول عكا، وهي الإمارة الصليبية الوحيدة التي بقيت بعد تحرير طرابلس .وبدأ المنصور قلاوون الاستعداد للمعركة وأمر بتجهيز الجيوش في الشام، ولكن وافته المنية في القاهرة سنة 689هـ / 1290م (نصر الله، 1995م، ص 131).
لم يتغير قرار المماليك بتحرير عكا، فقد نشط الأشرف خليل من أجل إتمام مشروع والده، ولم يقبل اعتذار الصليبيين عن جريمتهم في عكا، وأصر على إخراجهم منها ومن كافة بلاد الشام؛ فأرسل إلى ولاة الشام من أجل تجهيز وسائل النقل، ونُودي في الجامع الأموي بدمشق بأن حيّ على الجهاد ولتحرير عكا (سرور، د.ت، ص 240).
أقام الأشرف خليل في القبة المنصورية بالقاهرة احتفالاً دينياً قبل أن يتوجه لتحرير عكا، ودعا إليه القضاة والعلماء والأعيان والقراء، وفرق الأموال والثياب على أهل المدارس والزوايا والخوانق والربط (المقريزي، 1997م، ج 2، ص 223). وأعلن الأشرف خليل هدفه بفتح عكا، وأرسل إلى مقدم الدوادية في عكا في سابقة في أمر فتوح المماليك ضد الصليبيين، وربما هذا يعبر عن حرب نفسية لإثارة رعب الخصم، وكذلك توجيه الخطاب إلى مقدم الدوادية دون باقي القوى الصليبية في عكا ليزرع الشك بين هذه القوى ويمنع حدوث أي تعاون بينهما للتصدي للمماليك (رحيل، 2009م، ص 338).

المبحث الثالث:
نتائج إنهاء الوجود الصليبي في عكا
أ- فتح مدن الساحل الشامي الأخرى:
يسّر تحرير عكا فتح باقي معاقل المملكة الصليبية، وكان السلطان خليل قد أرسل جزءاً من جنده عند مهاجمته عكا وكانوا بقيادة سنجر الجاشنكر لحصار مدينة صور، وأخذ يشدد الحصار عليها إلى أن اضطر

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أهلها إلى طلب الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم مقابل تسليم المدينة (أبو الفداء، 1997م، ج 2، ص 361).
وفي صيدا، انسحب فرسان المعبد منها دون مقاومة واتجهوا صوب قبرص بعد ظهور الجيش المملوكي؛ وبعد تحرير صيدا، ظهر المماليك أمام أسوار بيروت التي كان مواطنوها يعلقون الآمال على المعاهدة مع السلطان، وهربت الحامية الصليبية إلى السفن حاملة معها آثار الكاتدرائية في المدينة (رنسيمان، 1994م، ج 3، ص 482-483).
وفَتَح السلطان الأشرف أيضاً حيفا دون مقاومة مباشرة بعد تحرير عكا وصور وصيدا وبيروت، وبعث الأميرين علم الدين الدوادي وشرف الجاكي إلى جبيل، وانسحبت قوات الصليبيين من أنطرطوس وعثليت، ولم يعد بحوزة الدوية الصليبيين سوى حصن جزيرة أرواد التي تقع على مسافة ميلين من الساحل مقابل أنطرطوس، ولم يغادروه إلا في عام 703هـ / 1303م .واستمرت الجيوش المملوكية في عملياتها في الساحل الشامي بتدمير كل ما تعتبره صالحاً لنزول الصليبيين إلى البر، وبذلك تكاملت حرب تحرير الشام واستعاد المسلمون الساحل الشامي بعد سيطرة الصليبيين عليه لمدة قرنين من الزمان (منصور، 1996م، ص 226).

ب- موقف قوى الغرب الأوروبي من إنهاء تواجد الصليبيين في الساحل الشامي:

يُعتبر سقوط عكا بيد المماليك نهاية للوجود الصليبي في الشرق الإسلامي، ولكن استمرت آمال بعض المجموعات الصليبية من أجل العودة؛ فقد سعى البابا نقولا الرابع (681هـ-692هـ / 1288م-1292م) لإعداد حملة صليبية للثأر من سقوط عكا، ولكن أوضاعه الداخلية ووفاته بعد ذلك وتراجع هيبة البابوية أمام نفوذ الأباطرة حالت دون تحقيقه هدفه (طقوش، 1997م، ص 224).
استمرت فكرة الحرب الصليبية وظلت عالقة في أذهان أصحابها، فأخذ فرسان الهيكل من جزيرة أرواد يغيرون بين الحين والآخر على ساحل طرابلس (سرور، د.ت، ص 243). ولم يكف الأوروبيون عن العمل ضد دولة المماليك في مصر والشام، وصارت قبرص قاعدة للصليبيين الذين اتخذوها ملجأ لهم بعد تصفية وجودهم في الشام، وتبنت قبرص تنفيذ المشروع الصليبي ضد المماليك بحكم موقعها الجغرافي بين شواطئ المسلمين في مصر والشام وبحكم مصالحها الخاصة وأنها سوق متوسطية للممالك الصليبية الغربية (مصطفى، 1996م، ص 42-44).
وتقدم هنري الثاني ملك قبرص بمشروع إلى البابا كلمنت الخامس (705-714هـ / 1305-1314م) لفرض حصار بحري على المماليك، بشرط أن يكون الأسطول الصليبي المحاصر للمماليك مستقلاً عن الجمهوريات الإيطالية التي يشكك هنري في إخلاصها للفكرة الصليبية؛ غير أن هذا المشروع لم يخرج إلى حيز التنفيذ (عاشور، 1959م، ص 71).
لم تنقطع جهود ملك قبرص هنري الثاني العدوانية ضد دولة المماليك بعد سقوط عكا ومدن الساحل الشامي الأخرى؛ وفي عام 699هـ / 1299م اعتدى هنري بالتحالف مع غازان زعيم المغول على سواحل الشام، وتصدت لهم قوات السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت 741هـ / 1340م)، وكان أسطول جنوة في الوقت ذاته يهاجم جبيل، وهاجم الصليبيون سواحل مصر سنة 700هـ / 1300م .وبلغ من تحمس هنري الثاني أن عمل على تجهيز حملة صليبية واتفق مع بعض ملوك أوروبا على غزو دمياط (أبو عليان، 1994م، ص 103-107).
ولما تولى بطرس الأول لوزيان حكم قبرص سنة 751هـ / 1350م جعل من نفسه المدافع عن الفكرة الصليبية، وفي سنة 767هـ-768هـ / 1365م قاد حملة على الإسكندرية بمصر، وكانت أخطر الحملات الصليبية التي تعرض لها المماليك .واقتحم الصليبيون المدينة ونهبوا وحرقوا المنازل والفنادق والحوانيت ثم غادروا في سفنهم، واستمرت العلاقات بين المماليك والغرب الأوروبي بعد هذه الحادثة يغلب عليها طابع العداء حتى تم عقد الصلح بين القبارصة والمماليك سنة 772هـ / 1370م (عاشور، 1959م، ص 71-73).
كانت الغارة على الإسكندرية بمثابة مؤشر قوي على ضعف دولة المماليك وأسرة قلاوون، فبعد سبعة عشر سنة من هذا الحدث، أي سنة 784هـ / 1382م، انتهت أسرة بن قلاوون وقامت دولة المماليك الجراكسة (قاسم، د.ت، ص 197).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الخاتمة

توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- اتبع المماليك سياسة المهادنة تجاه الصليبيين بسبب عدم استقرار أمورهم وصراعهم مع المغول وعداوتهم مع بقايا الأيوبيين .
- باستقرار أمور الدولة في عهد الظاهر بيبرس، سعى المماليك للتقارب مع أعداء الصليبيين مثل الدولة البيزنطية من أجل تحييدهم عن الصراع مع الصليبيين الذين اعتبرهم المماليك العدو الأخطر على المسلمين .
- عمل بيبرس على الاستفادة من الخلافات الصليبية .
- خلال بدايات أسرة قلاوون، تطورت علاقات المماليك مع القوى الإقليمية: بيزنطة، ومغول الفرس، ومغول القفجاق، وصقلية، وجنوى .
- أقام مؤسس أسرة قلاوون السلطان المنصور علاقات سياسية ودبلوماسية وعقد التحالفات مع مملكتي قشتالة وأراغون في إسبانيا، واحتوت المعاهدات بين الأطراف الإسبانية والمماليك على بنود في مصلحة دولة المماليك .
- اهتم المنصور بالعلاقات مع بيزنطة وراسلها من أجل التحالف والصداقة .
- جدد السلطان المنصور الهدنة العامة التي عقدها بيبرس مع الصليبيين وذلك من أجل منع التحالف بين مغول فارس والصليبيين .
- اتبع المنصور سياسة العصا والجزرة في علاقاته مع الصليبيين؛ أي إن عقده المعاهدات معهم لم يمنعه من مهاجمتهم عند نقض عهودهم .
- عمل المنصور أيضاً على الاستفادة من الخلافات بين الصليبيين واستولى على مدن مثل طرابلس واللاذقية .
- ساهمت سياسة المنصور قلاوون ودبلوماسيته لتحييد القوى الداعمة للصليبيين في إضعاف الكيانات الصليبية في بلاد الشام ونشر الخلافات بينهم .
- نال الأشرف خليل بن قلاوون شرف إنهاء الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي وذلك بتحرير عكا بعد أن استفاد من جهود أبيه السياسية والدبلوماسية والعسكرية التي أضعفت الصليبيين .
- لم تنته فكرة الحرب الصليبية بسقوط مملكة عكا وباقي مدن الساحل الشامي الصليبية، ولكن استمرت هذه الفكرة بدعم من بعض البابوات وحكام الغرب الأوروبي، وشن الصليبيون الحملات ضد المماليك في مصر والشام .
- لم يخلو الأمر من إبرام المعاهدات بين المماليك ودول الغرب الأوروبي بالرغم من سيادة العداء في العلاقة بين الطرفين، خاصة بعد هجوم القبارصة على الإسكندرية .

التوصيات

يرى الباحث أن حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الحديثة والمعاصرة هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية، عليه يوصي بدراسة حركة الاستعمار الأوروبي من خلال ربطها بحركة الحروب الصليبية.

المصادر والمراجع:

[1] أبو الفداء، ع. د .(1995) .*التبر المسبوك في حياة الملوك* (محمد زينهم وآخرون، التحقيق). مكتبة الثقافة الدينية .

[2] أبو الفداء، ع. د .(1997) .*المختصر في أخبار البشر* (محمود ديوب، التعليق). دار الكتب العلمية .

[3] أبو عليان، ع. م .(1995) .*مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك* .دار النفائس .

[4] ابن عبد الظاهر، م .(1976) .*الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر* (عبد العزيز الخويطر، التحقيق).

[5] الحداد، م. ح .(1998) .*السلطان المنصور قلاوون* .مكتبة مدبولي .

[6] حسين، ح. ع .(1998) .*دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك* .دار المعرفة الجامعية .

[7] رنسيمان، س .(1994) .*تاريخ الحملات الصليبية* (نور الدين خليل، الترجمة). الهيئة المصرية للكتاب .

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[8]زابوروف، م .(1986) .*الصليبيون في الشرق* .دار التقدم .
[9]سرور، م. ج. (د.ت.) .*دولة بني قلاوون في مصر* .دار الفكر العربي .
[10] طقوش، م. س .(1997) .*تاريخ المماليك في مصر والشام* .دار النفائس .
[11] عاشور، س. ع .(1959) .*مصر في عصر المماليك البحرية* .مكتبة النهضة العربية .
[12] عاشور، س. ع .(1976) .*العصر المماليكي في مصر والشام* .دار النهضة العربية .
[13] عاشور، س. ع .(1996) .*الأيوبيون والمماليك في مصر والشام* .دار النهضة العربية .
[14] قاسم، ع. ق .(1998) .*عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي* .دار عين للدراسات .
[15] قاسم، ع. ق. (د.ت.) .*الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري* .دار عين للدراسات .
[16] المطوي، م. ا .(1982) .*الحروب الصليبية في المشرق والمغرب* .دار المغرب الإسلامي .
[17] المقريزي، ت. أ .(1997) .*السلوك لمعرفة دول الملوك* (عبد القادر عطا، التحقيق). دار الكتب العلمية .
[18] المنصوري، ب .(1993) .*مختار الأخبار* (عبد الحميد صالح حمدان، التحقيق). الدار المصرية اللبنانية .
[19] منصور، م. ص .(1996) .*أثر العامل الديني في الحروب الصليبية* .جامعة قاريونس .
[20] مصطفى، ن. م .(1996) .*العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية* .المعهد العالي للفكر الإسلامي .
[21] نصر الله، س. ع .(1993) .*رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى* .دار النهضة العربية .

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **AJHAS** and/or the editor(s). **AJHAS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).